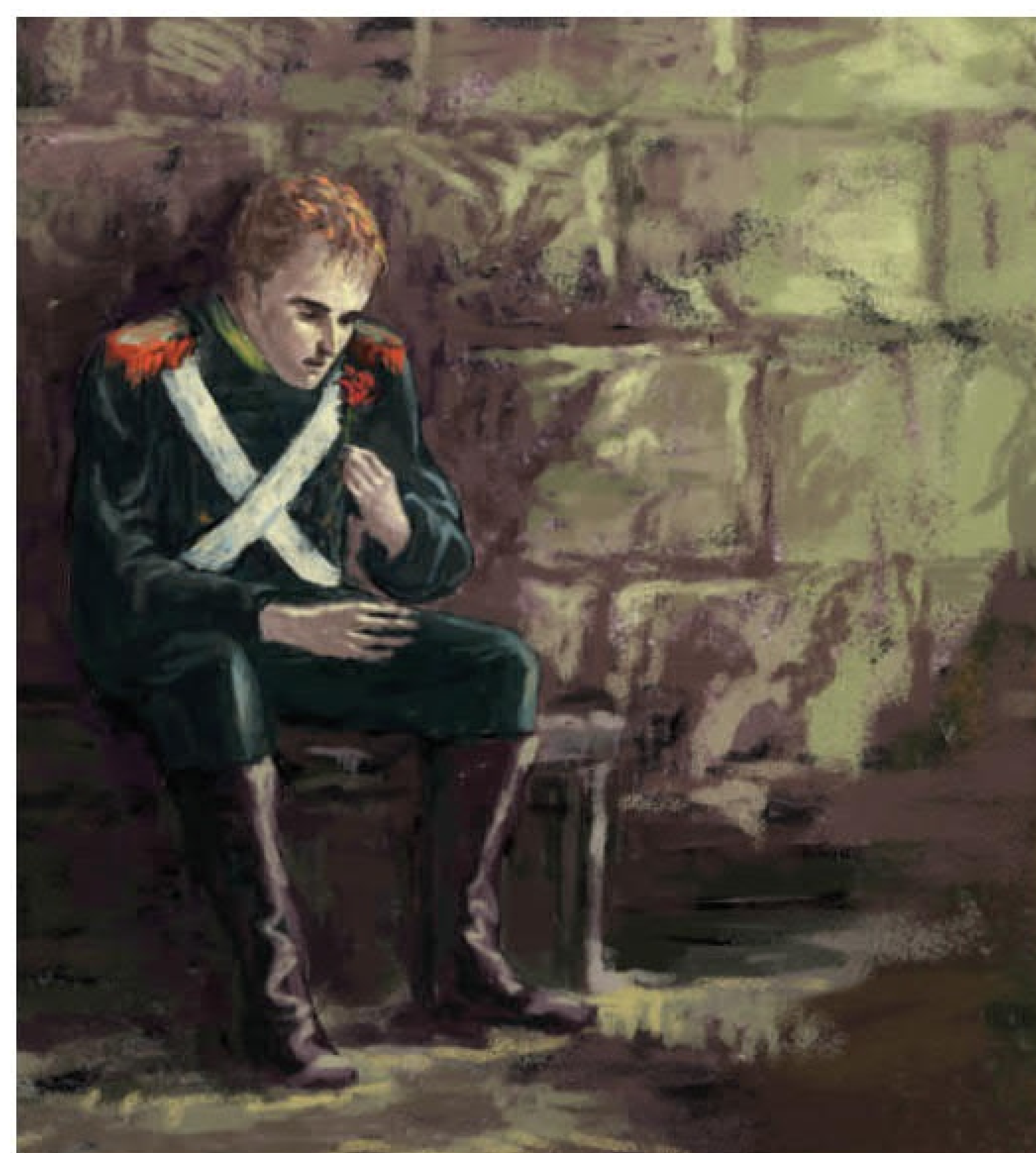


سلسلة الأوپرا
والمسرح العالمي
كارمن



كارمن

كارمن
قميص أول

سلسلة الأوبرا
والمسرح العالمي

كارمن







تأليف: جورج بيزيه
رسوم: جونغ، هيون جو
ترجمة : Market Tech

الطبعة الأولى 2010 م

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ، فاكس: 462 6314 2 971+

معالم maalem
للطباعة، النشر والتوزيع ذ م م
for Printing, Publishing and Distribution L.L.C
info@maalam.net
www.maalam.net

ص.ب: 62606 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 971 2 6222622 + فاكس: 971 2 6222112 +

دار المؤلف Dar Al-Moualef
للنشر والطباعة والتوزيع ش م م
for Publishing, Printing and Distribution s.a.r.l
بيروت – لبنان، هاتف: 961 1 823720 + info@daralmoualef.com

كانَتْ ساحةُ بلدة أشبيلية في إسبانيا مزدحمةً بالناس كالعادة، حيث علَت أصواتُ التجّارِ المتجوّلينَ وهم يبيعونَ سلعاً مختلفةً وأصواتُ المتفرّجينَ الذينَ يبحثونَ عن عرضٍ مثيرٍ للإهتمام في تلكَ الساحةِ التي شُيِّدَ فيها مصنعٌ للسجائرِ مقابلَ معسكرٍ للحرّاس. وتخلّل الجمعَ بعضُ العمّالِ الذينَ دخلوا وخرجوا من المصنع بالإضافة إلى بعضِ الجنود. وفي وسطِ الحشدِ، وقفتْ فتاةٌ تُدعى ميكايِيلاّ، تحاولُ أن تُخبِّئَ وجنتَيها المحمرّتين خجلاً واسترقتِ النظرَ إلى معسكرِ الحرّاس. رآها جنديٌّ يحرُسُ المعسكرَ فسألَها:

ـ «مرحباً يا شابّةُ، ماذا تفعلينَ هنا؟» .

احمرَّ وجهُها خجلاً وأجابَتْهُ متلعثِمَةً:

ـ «آااا... مممم... عذراً... أنا... ثمّة رقيبٌ اسمُهُ دون... دون خوسيه....»

ـ «دون خوسيه؟ بالطَبع أعرفُه. ولكِنْ، لا يمكنُكِ أن تريْه الآن. لن يأتي إلى هنا قبلَ وقت مناوبَته. حسناً لنرَ، سيحينُ موعدُ المناوبةِ قريباً. لمَ لا تنتظرينَهُ في الداخلِ؟ ربّما يُمكِنُنا أن نتكلَّم...»».

ـ «آه لا. سأعودُ بعدَ قليلٍ».

شعرَ الجنديُّ ببعضٍ من التردُّدِ وهو ينظُرُ إليها تختفي بسرعةٍ حالما أنهتْ كلامَها.



علا صوتُ البوقِ مشيراً إلى حلولِ وقتِ المناوبَةِ، فاجتمَعَ جنودُ الحراسَةِ والآخرون الذين ينتظرونَ دورَهم واصطفّوا أمامَ المعسكَر. وكانَ دون خوسيه أحدَ هؤلاءِ الجنود. دخَلَ إلى المعسكرِ عائداً من الحراسةِ فاقترَبَ منه الجنديُّ الذي كان في المناوبةِ السابِقَةِ وقالَ له:

ـ «هاي، خوسيه! منذ قليلٍ أَتَتْ فتاةٌ جميلةٌ تسألُ عنك».

عندما سمِعَ الخبرَ، عرفَ فوراً أنّها ميكاييلاّ. من سواها يقطعُ المسافةَ كلّها ليأتيَ إلى المعسكَرِ ويسألَ عنهُ. كانت ميكاييلاّ خطيبَتُهُ تنتظِرُهُ وتعتني بأمِّهِ في أثناء غيابِه عن الدار. فجأةً، أحسَّ بشوقٍ إليها وبحنينٍ إلى المنزِل. فجلسَ حزيناً على كرسيٍّ وأخذَ يُنظِّفُ البندُقيّةَ التي كانَت على كتفِه.

في الوقتِ عينِه، دُقَّ جرسُ المعمَلِ معلناً وقتَ الغداءِ فخرَجَ وفدٌ من النساءِ العاملاتِ في مصنَعِ السجائرِ إلى الساحَة. عندئذ، بدأ عددٌ من الرجالِ الذين تجمّعوا أمامَ بوّابةِ المصنعِ يغنّونَ بأعلى صوتِهِم أغانيَ حبٍّ مهداةً كلُّها إلى فتاةٍ غجريَّةٍ اسمُها كارمن.

فسحَ الرجالُ الطريقَ للرائعَةِ كارمنَ التي تمايلَت في وسطِهم بقامَتِها الممشوقَةِ الفتّانةِ وهم يصفِّرونَ ويهتِفونَ لها ويتبعونها بنظراتِهم حين تمشي بجانِبِهم.



ابتهجَتْ كارمن بهتافاتِ الحشد فرفَعَتْ رأسَها ونظَرَتْ حولها، وإذ بنظرها يقعُ على رجلٍ ينظِّفُ بندقيّتَهُ غيرَ مكترثٍ بما يجولُ حولَه. كان هذا الرجُلُ دون خوسيه.

ـ «كيف لا ينظُرُ إليّ؟ سيدفَعُ ثمنَ هذا».

جرَحَ عدَمُ اكتراثِ دون خوسيه كبرياءَ كارمن فقرَّرَتْ أن تغويَه. اقترَبَت منهُ وشرَعَتْ تُغنّي أُغنيةً عذبةً وترقص. وحينَ انتَهَتْ من الغِناء، رمتْ إليه وردةً حمراءَ كانت تحملُها بينَ شفتيها. وأخيراً، بدأ يشعُرُ بأنّهُ منجذِبٌ إليها. في تلكَ اللحظة، دُقَّ الجرَسُ مجدّداً معلناً نهايَة وقتِ الغداء. نظرَتْ إليهِ كارمِن قبلَ أن تختفيَ ببطءٍ داخِلَ المصنَع. وقفَ وحيداً مع الوردَةِ التي رَمَتها مبهوراً بسحرِ جمالِها.





وبعدَ فترَة، عادَ إلى رُشدِه والتَقَطَ الوردةَ المرميَّةَ أمامَهُ ثمّ سَمِعَ صوتاً يناديه. التَفَتَ فوَجَدَ ميكاييلاّ تركُضُ نحوَهُ من بعيدٍ. أسرَعَ وأخفى الوردَةَ في جيبِ سترَتِهِ الداخليّ.

ـ خوسيه.

ـ «ميكاييلاّ! أرَدْتُ رؤيتَكِ بشدَّة. كيفَ حالُ أُمّي؟ أهيَ بخير؟».

ـ «نعم، هي دائماً قلِقَةٌ عليك. في الواقع، أتيتُ إلى هنا لأنّها متشوِّقَةٌ لسماعِ أخبارِك».

نظرَ خوسيه إليها نظرَةً دافئةً وحنونَةً إذ ملأ لطفُها ورقّةُ صوتِها قلبَه.

ـ «هذه الرّسالَةُ من أمِّكَ وهذا المالُ لكَ مع أنّه ليسَ مبلغاً كبيراً. آه، وهذه...».

وقبلَ أن تُضيفَ كلمةً أخرى، اقتربَتْ منه ببطءٍ، منحنيةَ الرأسِ لئلاّ يظهرَ خجلُها وطبَعَتْ قُبلَةً على خدِّه.

ـ مي... ميكاييلاّ.

ـ «هذه قُبلَةُ حبٍّ من أمِّكَ، طلبَتْ منّي أن أوصلَها إليك».

ـ «شكراً لكِ ميكاييلاّ، سأذهبُ لرؤيتِها قريباً. أرجوكِ اهتمّي بها إلى ذلكَ الحين».

أمسَكَ الرسالةَ التي سلَّمَتْهُ إيّاها وقبّلَها على خدِّها وقال:

ـ «أُرسِلُ هذه القبلةَ إلى أمّي، أرجوكِ قبِّليها عنّي. أُحبُكِ جداً ميكاييلاّ».

عندما قبَّلَها، غمرتِ السعادَةُ قلبَها فوعدَتْهُ أن تزورَهُ قريباً وعادَتْ أدراجَها محمرَّةَ الوجهِ خجلاً.

نظرَ إليها ترحلُ وتتركُه وحيداً معَ أفكارِه. فكَّرَ في أمِّه التي تصلّي دائماً لكي يكونَ بخيرٍ وبـ ميكاييلاّ الفاتنة، وكلّما فكّرَ فيهما، ازدادَ شوقُهُ إلى المنزلِ أكثر فأكثر.

لكنّ الغريبَ في الأمرِ أنّه بقدرِ ما تذكّرَ ميكاييلاّ، كان وجهُ كارمن التي رمَت الوردَةَ نحوَهُ بتكبُّرٍ، يظهَرُ أمامَ عينيه. وبالرغم من أنّهُ حاوَلَ جاهداً نسيانَ صورَتها، فهي لم تفارق تفكيرَه.

ـ «أنا متأكّدٌ من أنّ رائحَةَ زهرةِ الشيطانِ أغوَتني، لكنّني سأكوِّنُ عائلةً سعيدَةً إلى جانبِ حلوتي ميكاييلاّ ونعتني بأمّي إلى الأبد. عُدْ إلى صوابِكَ يا خوسيه. سيطِرْ على نفسِك!».

وأرادَ التخلُّصَ من الوردَةِ التي كانَ قد خبّأَها داخلَ سُترَته.

وفيما توَعَّدَ بتنفيذِ ذلك، سمعَ فجأةً ضجّةً في الخارِجِ ورأى امرأةً تخرُجُ من المصنَعِ وتصرُخ:

ـ «ثمّةَ عراك! وقَعَ عراكٌ في المصنع!».

على أثرِ الصراخ، أمَرَهُ زونيغا، الضابطُ المسؤولُ عنه بأن يذهبَ ليعرفَ ماذا يجري:

ـ «آه، يا إلهي، شجارٌ آخر... هاي، دون خوسيه اذهبْ وألقِ نظرةً؟».

توجَّهَ خوسيه إلى الطابقِ الثاني في مصنعِ السجائرِ برفقةِ جنديّينِ فوجدوا عمّالاً محتشدينَ حول امرأةٍ مطروحةٍ على الأرضِ وشعرُها متشابكٌ بينما أمسَكَ آخرونَ بكارمن التي كانت تلهثُ تعبَةً.

جلَبَ خوسيه كارمن أمامَ زونيغا مقدِّماً تقريرَهُ عن الشجار.

ـ «أنا آسفٌ كارمن. هذه المرّةُ لا أستطيعُ أن أدعَكِ تذهبينَ من دونِ عقابٍ. عليكِ أن تأتي معنا.»

ـ «ها، لا يهمّ».

انزعَجَ زونيغا من الطريقةِ التي كلّمَتهُ بها لأنّهُ كانَ مولَعاً بها، لكنّه تمالَكَ نفسَهُ وأمَرَ خوسيه بأن يقيِّدَها:

ـ «راقِبها جيّداً بينما أذهبُ وأكتبُ تقريري».





نفَّذَ خوسيه الأمرَ وقيّدها، فهمهمَتْ كما لو أنّها لا تخافُ شيئاً، ثمَّ حدّقَتْ فيه بنظرةٍ مثيرةٍ وقالَتْ لَه:

ـ «أتعلمُ شيئاً؟ حينَ رأيتُكَ منذ قليلٍ، وقَعتُ في حبِّكَ والوردَةُ التي رميتُها لكَ هي عربونُ هذا الحب. لن ترفُضَ حُبّي، أليسَ كذلك؟».

قرَّرَ خوسيه ألاّ يقَعَ في شباكِ إغراءاتِها، فلا فائدةَ من ذلك. وشعَرَتْ كارمِن بصراعِهِ الداخليّ فهمسَت بصوتِ عذبٍ وناعم:

ـ «سأنتظرُكَ في الحانَةِ المجاوِرَةِ لحائطِ أشبيلية. سنشرَبُ ونرقُصُ معاً. ما رأيُك؟ ألا تشعر أنّ ذلك جميلٌ كالحلم؟».

تسارَعَتْ دقّاتُ قلبِ خوسيه فأكملَت:

ـ «حسناً، فُكَّ الرباطَ عن يديَّ قبلَ أن يعودَ زونيغا، وأنا سأهتَمُّ برباطِ رجلي».

ومن دونِ أن يعرفَ ماذا يفعَلُ، وجَدَ نفسَهُ يحِلُّ وثاقَها. نظرَتْ إليهِ مسرورَةً وابتسَمَتْ له. وفي هذه الأثناء، عادَ زونيغا:

ـ «دون خوسيه اجلِبها الآن إلى السجن».

وَقَفَتْ كارمِن ودفَعَتْ هذا الأخيرَ أرضاً وفرَّتْ هاربةً. لم يرَ خوسيه سوى ظهرِها، وبما أنّهُ سمَحَ لها بالفرارِ، وُضِعَ في السجنِ بدلاً منها.

مرَّت على تلكَ الحادثة أشهُرٌ عدّة، وكانَت كارمن ترقُصُ مع صديقتَيها فراسكويتا ومرسيدس في الحانَةِ حيثُ وعَدَتْ خوسيه أن تلتقيَه. اجتمَعَ النـاسُ لرؤيتِهنَّ يرقصنَ فيصفِّقون لهنّ ويهتفون. وكانَ زونيغا، ضابطُ خوسيه بينَهم يبحثُ عن فرصَةٍ للتقرُّبِ من الرائعَةِ كارمن، لكِنّها لم تلتَفِتْ إليهِ مطلقاً. وأخيراً، نفدَ صبرُهُ، فاقتربَ منها وقالَ بصوتٍ عالٍ:

ـ «اليومَ، أطلَقتُ سراحَ صديقِكِ دون خوسيه الذي سُجِنَ بدلاً منك».

ـ «حقاً؟ هذا جيّد».

وكانَ على وشَكِ إكمال الحديثِ حينَ قاطَعَهُ وفدٌ دخلَ إلى الحانةِ يهتفُ لمُصارِعِ الثيرانِ إسكاميلّو الذي كانَ يشرَحُ فخوراً عن معركَتِه مع الثورِ بصوتٍ مرتفعٍ كأنّه جنرالٌ منتصر:

ـ «كان الوقتُ حاسماً. نظَرَ ثورُ المصارَعَةِ إليَّ مشحوناً بالغضَبِ وزفرَ في وجهي. ولكنْ، لا يُعقَلُ أن يخيفَ ذلكَ إسكاميلّو، أعظمَ مصارعٍ عرَفَهُ التاريخ، فضربتُهُ برمحي في ظهرِهِ على الفور. فكما تعلمونَ، إسكاميلّو هو أفضَلُ مصارِعٍ».

ورَفَعَ كأسَهُ ليقترِحَ نخباً وفعَلَ النـاسُ مثلَه. وبعدما مُلِئَت الكؤوسُ مرّاتٍ عدّة، وقَعَ نظرُهُ على كارمن وهي ترقُصُ وأُغرِمَ بها على الفور. فاقترَبَ منها وقال:

ـ «ما اسمُكِ؟».

فأجابَتهُ ساخرةً من دونِ أن تفقدَ الإيقاعَ وتركيزَها على الرقصِ ومن دونِ أن تُظهرَ أيَّ اهتمام به:

ـ «لِمَ تُريدُ أن تعرفَ؟ أعطني سبباً وجيهاً لأقولَ لك اسمي».

ـ «حينَ أكونُ في خطرٍ وأنا أصارِعُ الثيرانَ، سأصرُخُ باسمِكِ».

ـ «حسناً... إن كانَ هذا هو السَّبَبُ، فلا مانِعَ لديّ. أنا أدعى كارمن».

ـ «ماذا تفعلينَ إن قُلتُ لكِ إنّني أحبُّكِ؟».

ـ «هذا شأنُكَ وليسَ شأني، لكنّني أُحبُّ رجُلاً آخر».

ـ «أنا متأسّفٌ لسماعِ ذلكَ، لكنّني لن أفقدَ الأمَلَ بأن تُحبّيني».

خَرجَ إسكاميلّو مفتوناً بجمالِها منَ الحانةِ محاطاً بالجموعِ وواعِداً بالعودَةِ قريباً.





بعدَ أن عادَ الناسُ إلى منازِلهم، صعدَتْ كارمن وصديقتاها إلى النُزل في الطابقِ الثاني من الحانَة. في الداخلِ، اختبأ بانتظارهنّ دانكير وريمندادو، وهما صديقانِ لهنَّ يهرّبانِ السلَع. حينَ رأتهم كارمن قالَتْ قلقَةً:

ـ «أكُلُّ شيءٍ على ما يُرام؟ ماذا سيحدُثُ إن رآكم أحدٌ تختبئون في مثلِ هذا المكان...؟».

ـ «كارمن، نحتاجُ إلى مساعدتك».

ـ «لا أستطيعُ أن أفعَلَ ذلكَ بعدَ الآن، لا أستطيع».

ـ «ماذا حَدَثَ كارمن؟ ألا تعرفينَ أنّنا نحتاجُ إلى امرأةٍ للهروبِ من تفتيشِ الجمارِك؟».

ـ «بلى، أعرِفُ ذلكَ، لكنّني لا أستطيعُ مغادرة المكانِ والذهابَ معكما يا أصحاب. أنا أنتظرُ حبيبي».

ـ «عفواً كارمن أأنت مغرَمَةٌ فعلاً؟».

ـ «يا لها من مفاجأةٍ بالنسبةِ إلى فتاةٍ متكبِّرَةٍ مثلِكِ، لكنّكِ كنتِ في الماضي تجيدينَ التوفيقَ ما بين العملِ والحبّ، ماذا حدث لكِ فجأةً؟».

ـ «الأمر مختلفٌ هذه المرّة، فقد دخلَ دون خوسيه السجنَ بدلاً منّي».

ـ «كارمن ألا تعرفينَ الرجال؟ من المؤكّد أنه ندمَ على فعلَته. لن يعودَ أبداً».

وحاولوا إقناعَها بأنَّهُ لن يعودَ، لكنّها أصرّت على أنّها ستبقى ولن ترحَلَ معهما. في تلك اللحظَة، سمعَتْ صوتَ رجلٍ يناديها.

سُرَّت جدّاً لسماعِ صوتِه وطلَبَت من أصدقائها المغادرة:

ـ «أسَمعتُم كلُّكم؟ إنّه هو. لقد أتى ليبحَثَ عنّي. أسرِعوا واذهبوا».

فقالَ دانكير:

ـ «ما رأيُكِ إن أشركناهُ معنا في العمل؟».

ـ «ماذا؟ حسناً دعني أُفكِّر. ولكن، اذهبوا الآنَ كلُّكم».

عندما غادرَ أصدقاؤها فتحَت البابَ ورحّبَت بخوسيه مسرورةً. حينَ رآها فرِحةً إلى هذا الحدِّ، شَعَرَ أنّ الأيّامَ القاسيةَ التي قضاها في السجنِ قد اختفت.

ـ «دون خوسيه لا بدَّ أنكَ عانيتَ الكثيرَ بسببي وأنّكَ في أثناء وجودكَ في السجنِ ندمتَ على مساعدتي».

ـ «لا تقولي هذا كارمن، أنا مستعدٌّ لكلِّ شيءٍ من أجلكِ».

ـ «شكراً لكَ خوسيه. من الآنَ فصاعداً، لن أرقُصَ ولن أغنّيَ لأحدٍ سواك».

وحينئذٍ رقَصَتْ لَهُ بخطواتٍ رائعةٍ أَسَرَتْ نظرَهُ فغفلَ عن مرورِ الوقت.

في هذا الوقت، أنطلقَتِ الصفارةُ معلنةً حلولَ وقتِ العودةِ إلى المعسكر. فتبدّلَت ملامحُ وجهِ خوسيه السعيدة:

ـ «أسمعتِ الصوتَ كارمن؟ كم أتمنّى أن أبقى إلى جانبِك طوالَ الليلِ، ولكن، عليَّ أن أذهب».

توقّفت كارمن عن الرقصِ وحدّقَتْ فيهِ كما لو أنّها سمِعَتْ شيئاً مضحكاً وأتَتْ ردّةُ فعلِها حادةً مثل نصلِ سكين:

ـ «ماذا قُلت؟ تقولُ إنّك تَحبُّني، لكنّ تلبيةَ نداءِ الجيشِ بالنسبةِ إليكَ أهمُّ منيّ بكثير. إذهبْ ولبِّ قائمةَ الحضورِ التي تُحْبُّها إلى هذا الحدّ!».

لم يعرف خوسيه ما العمَلُ فقال لها:

ـ «ألا تثقينَ بعد بحبّي لك؟».

ـ «لا، إنّ حبَّكَ غيرُ جديرٍ بالثِّقَة».

فسحبَ بحذرٍ من جيبِ سترتِه الوردةَ التي رَمتْها إليه في أوّلِ لقاءٍ لهما.

ـ «كارمن، تعالَي وانظري. ألا تذكرينَ هذه الوردة؟ أبقيتُها معي حتى وأنا في السجن. وكنتُ كلَّ يوم أخرجُها وأنظرُ إليها وأفكّرُ فيك. بالطبع، شَككتُ في بادئِ الأمر بأنّك حقاً تَحبّينني، وأحياناً كثيرةً لُمتُك. ولكنْ، على الرغم من هذا، كنتُ كلّما فكّرتُ فيكِ، اشتاقَ قلبي إليكِ أكثر. كارمن، ألا يمكنكِ رؤيةَ مدى اشتياقي وحبّي لك؟».

ـ «لا، أنت لا تَحبُّني».

ـ «هذا غيرُ صحيح، أرجوكِ ثقي بي، أنا أُحبُّك من كلِّ قلبي».

ـ «إذا كنتَ فعلاً تَحبُّني كما تقولُ، دعنا نغادرُ معاً إلى ما وراءَ الجبلِ، حيث لا جيشَ تطيعُه. فتَبْدأ حياةً جديدةً مَعي وتتمتَّعَ بالحريةِ التي لطالما حَلمتَ بها. ما رأيُك؟».

استمعَ إلى اقتراحِها المغري بإمعانٍ، لكنَّه لم يَستطعْ أَنْ يَجْلبَ العارَ لنفسه مرّةً ثانيةً بهُرُوبِه مِنْ الجيش.

فكّرَ مليّاً لبرهةٍ وقرّر أخيراً العَودةَ إلى الجيشِ تاركاً كارمن وراءَه.



وبينما كَانَ عَلى وَشَكٍ أَنْ يَخْرجَ مِنْ الغرفةِ، أتى زونيغا يبحَثُ عنه. وحينَ رآهُ مَع كارمن، شَعرَ بالغيرةِ وغضِبَ جداً.

ـ «دون خوسيه، ماذا تَفعلُ هنا؟ ألم تسمَع طنينَ البوقِ منذ دهرٍ؟ ... عُد فوراً إلى المعسكر!».

ـ «لا تَقُلْ لي ماذا عليّ أن أفعَل. لن أَعُود!».

شوَّش ظهورُ زونيغا المفاجئُ تفكيرَ خوسيه وأرادَ أن يُثبِتَ نفسَهُ أمامَ كارمن فبدآ يتشاجران. في النهايةِ، سحبَ خوسيه سيفَهُ وأرادَ أن يقاتِلَ زونيغا. عندئذٍ، أدركتْ كارمن أنّها لم تعُد تُمسكُ بزمامِ الأمورِ فاستنجدتْ بدانكير وريمندادو اللذينِ كانا يختبئانِ في الغرفةِ المجاورة.

فورَ سماعِهما نداءَها، أسرعا إليها وأخذا سيفَ زونيغا وأخرجاهُ من الغرفَةِ بعدَ أن سخِرا منه:

ـ «تنحَّ جانِباً، سيّدي القائد. لا فائدةَ لكَ هنا».

أمّا خوسيه، فلم يكتفِ بعدمِ الخضوعِ لأوامرِ قائدِهِ بل شهَرَ سيفَهُ بوجهِهِ، فقد وجدَ أنّه لم يعدْ يملِكُ خياراً سوى أن يذهبَ إلى الجبالِ مع المهرِّبينِ اللذينِ ساعداه.

كانت الليلةُ على الجبلِ باردةً وموحشةً. بَعْدَ سيرٍ طويلٍ داخلَ الغابةِ العميقة، بدأ مهرّبون آخرون، ممّن تواعدوا على اللقاء، بالوصولِ واحداً تلوَ الآخرِ من مختلفِ المناطق. وفي الوقتِ الذي ذهبَ فيه دانكير وريمندادو لإلقاءِ نظرةٍ على الجوارِ، اجتمعَ المهرِّبونَ حولَ النار. كان بعضُهم يتحدّثُ وبعضُهم يحاولُ قراءةَ مستقبلِه بأوراقِ اللعِبِ، أمّا من تبقّى فكانَ يحاولُ أن يَنامَ مَلْفُوفاً ببطانية.

دفعَ الضجَرُ بكارمن إلى المشاركةِ في الأحاديثِ هنا وهناك، ثمّ توجّهت نحو خوسيه الذي تنهّدَ وهو ينظُرُ إلى البعيد.

ـ «خوسيه، أثمّةَ ما يُضايقُك؟».

ـ «لا ... أنا أفكِّرُ في أمِّي في المنزلِ...».

ـ «لِمَ لا تذهَبُ لرؤيتِها إذاً؟ لا تَبْدو مسروراً بهذه الحياةِ المليئةِ بالحريةِ والمغامرة. لِمَ لا تَعُودُ وحسب؟».

ـ «ما الذي تَقُولينه؟ كَيْفَ تطلبين منّي أن أذهبَ وأترُكَك؟ رجاءً كارمن، لا تصعِّبي عليَّ الأمورَ أكثر».

ـ «حسناً».

لم تكتَرِثْ كارمن لما يعانيه خوسيه وراحَتْ تقرأ للناسِ مستقبلَهم بالأوراق. فدعاها الناسُ لأن تسحَبَ ورقةً لها، ومن دونِ تردّدٍ أخذَت ورقةً وفتحتْها بحذرٍ متشوّقةً لمعرفَةِ ما يخفيه لها القدر. وفجأةً، تصلَّبَ وجهُها المبتسمُ، إذ كانت البطاقةُ التي أخذَتها تُظهرُ أنّ مصيرَها الموت.

ـ «الموتُ... لا يُعقَل. دعوني أحاولُ ثانيةً».

ومع أنّهم خلطوا الأوراقَ مراراً وتكراراً، أظهرَت لها الورقَةُ التي سحبتها الموتَ أيضاً. قلِقَتْ كارمن وتوجّهَتْ إلى دانكير وريمندادو وأخبرتهُم عن خوفِها.

ـ «هاهاها! إنّ قراءةَ البختِ بأوراقِ اللعبِ يا كارمن مجرّدُ تسلية، لا تصدّقي ما يُطلِعُكِ عليه. انسَيْ أمرَ ما رأيته! منذ متى أصبحتْ كارمن تصدّقُ الخرافات؟ هاهاها».

شَعرتْ كارمن بالتحسّن حينَ سخرَ صديقاها من قراءةِ البخت وما اكترثوا له.



وفي صباحِ اليومِ التالي، وضَّبَ المهرِّبون أغراضَهم باكراً وأعادوا ترتيبَ المكانِ قبلَ أن ينطلقوا مجدّداً في الغابة. وقفَ خوسيه على صخرةٍ عاليةٍ والبندقيّةُ على كتفِه، وأخذَ يراقبُ الطريقَ ليسمَحَ لهم بالمرورِ بسلام.

في هذا الوقت، كانت ميكاييلاً، التي أتَتْ إلى الغابةِ تبحَثُ عن خوسيه بعدَ أن سمعَتْ بخبرِ هروبِه، قد اقتربَتْ من مكانِهم. توقّفَتْ لدقائقَ، تنظُرُ بصمتٍ من حولِها، فلمَحَتْ خوسيه واقفاً على الصخرة. وما أن رأتْهُ حتّى هرَعَتْ مسرعةً للقائه. وفجأةً، هزَّ صوتُ طلقٍ ناريٍّ الجبلَ بأكملِه. تفاجأتْ ميكاييلاً واختبأت على الفورِ خلفَ صخرَة. وظهَرَ رجُلٌ مفتولُ العضلاتِ ممسكاً بقبّعَتِه وفيها فُتحَةٌ سبَّبَها طلقٌ ناريٌّ.

ـ «آه، يا إلهي...! لو كانتِ الطلقةُ أكثرَ انخفاضاً بقليلٍ، لكنتُ رجلاً ميتاً الآن».

ـ «من أنت؟».

ـ «آه، ألا تذكُرُني؟ هذا مخيِّبٌ للآمال! أنا إسكاميلّو، أفضلُ مصارعِ ثيرانٍ. أخبرَني أحدهم بأنّه يُمْكِنُني أَنْ أَرى حبيبتي كارمن إن أتيتُ إلى هنا...».

شعَرَ خوسيه بالغيرَةِ تتمالَكُهُ لظهورِ هذا الغريبِ الذي يبحثُ عن كارمن. وأخيراً، لم يستطِعْ تحمُّلَ الغضَبِ في داخلِه فسحَبَ سيفَهُ وطَلَبَ أن يُبارِزَه، ولم يرفُضْ إسكاميلّو الطلب.

أسرعَتْ كارمن ورفاقُها عند سماعِهم الطلقَ الناري. وحين وصلوا، كان خوسيه على وشَكِ أن يقطعَ عنُقَ اسكاميلّو. هدّأتْ كارمن خوسيه بصوتِها الناعمِ وأقنعَتْهُ برمي سيفِه، ثمّ أبعدَتْهُ عن اسكاميلّو.

ـ «دون خوسيه لا! أرجوكَ اهدأ وارمِ سيفَك».

ـ «كم أنا مسرورٌ أنّكِ، يا حبيبتي، أتيتِ وأنقذتِ حياتي. شكراً لكِ كارمن. أريدُكِ أن تشاهدي مصارعةَ ثيرانٍ رائعةً ستُقامُ في أشبيلية بعد أيامٍ قليلةٍ. أرجو أن تأتي».

ـ «حسناً سأذهب».

ابتَسَمَتْ كارمن ابتسامةً مشرقَةً واستلمتْ بطاقةَ الدعوةِ مِنْ إسكاميلّو، ثمّ راقَبَتْهُ يختفي عن أنظارِها مبتسمةً راضيةً.

نَظَرَ إليها خوسيه فأحسَّ بغضبٍ نحو كارمن وبغيرةٍ من إسكاميلّو.



ـ «تأخّرنا كثيراً، فلنذهبِ الآن».

وعلى أثرِ كلماتِ دانكير، بدأوا يستعدّونَ للانطلاقِ مجدّداً. في هذه الأثناء، وجدَ ريمندادو ميكايبيلاّ مختبئةً خلفَ الصخرةِ فأربكَ ظهورُها المفاجئ خوسيه.

ـ «ميكايبيلاّ! ماذا تفعلينَ هنا؟».

أجابتهُ بوضوحٍ وهدوءٍ:

ـ «جئتُ أبحثُ عنك. لا تنفكُّ أمُكَ تسألُ عنكَ، خوسيه دعنا نذهبُ إلى المنزلِ الآن».

حدّقَتْ كارمن بميكايبيلاّ من أسفل قدميها إلى رأسها وقالَتْ متهكّمةً:

ـ «من هذه المرأةُ الريفيَّة؟ أعتقدُ أنّ أمَّكَ تبحثُ عنكَ بقلقٍ. لمَ لا تذهبُ لرؤيتها؟».

ـ «ستتوجّهينَ فور ذهابي إلى مصارعِ الثيران. أنا لن أذهب. لا أستطيع! سأستمرُّ بمراقبتكِ هنا».

لم تصدِّق ميكايبيلاّ ما سمِعَتْهُ وحاولتْ جاهدةً أن تخفيَ دموعَها، لكنّها أجهشَتْ بالبكاء.

ـ «خو...خوسيه كيفَ أمكَنَكَ أن تتبدّل؟ أمُّكَ مريضةٌ جدّاً... وقد تموتُ بين لحظةٍ وأخرى. ألم تسمعني؟».

شعَرَ خوسيه أنّ ما تقولهُ ميكايبيلاّ حقيقيٌّ وأدرَكَ ضرورةَ الذهابِ لرؤيةِ أمِّه، لكنّهُ ظلَّ قلقاً على كارمن. كانَ يعلَمُ من دونِ أدنى شكٍ أنّها سترتمي في أحضانِ مصارعِ الثيرانِ إسكاميلّو فورَ مغادرَتِه.

ـ «كارمن سأعودُ، سنلتقي مجدّداً».

وترك المكانَ غيرَ مرتاحٍ وظلَّ ينظُرُ إلى الوراءِ حيثُ تركَ كارمن.



ومرَّتِ الأيّامُ، وجاءَ يومُ المصارَعَةِ التي ذكَرَها إسكاميلّو. كانَ محيطُ حلبةِ المصارعةِ في أشبيلية يعُجُّ بالناسِ المتحمِّسينَ الفرِحينَ الذينَ لبِسوا أبهى حُلَلِهم وخرجوا إلى الساحةِ ينتظرونَ استعراضَ مصارعي الثيران.

وأخيراً، بَدأَ العرضُ الذي ضمَّ عدَداً مِنْ مصارعي الثيران الرائعينَ في ملابسِهم الملوّنةِ التي تعكِسُ نورَ الشمس.

وسرعانَ ما خرجَ إسكاميلّو واثقاً من نفسِهِ وسطَ الهتافاتِ الفرحةِ، وبِقُربِه، كالمتوقَّع، مَشَتْ كارمن المتألِّقةُ بثوبِها الجميل.

لوّحَ بيدِهِ للحشودِ الهَاتِفةِ التي رحَّبتْ به ورافقَ كارمن. وقبلَ دخولِهِ إلى الحلبةِ، اعترَفَ إسكاميلّو بحبِّهِ لها:

ـ «كارمن، سَأُصارعُ اليومَ من أجلك. سأنتصرُ مجدّداً لأظهِرَ لكِ مدى حبّي».

لوّحتْ كارمن بيديها إليه، وابتسَمَتْ أسعدَ ابتسامةٍ على الإطلاق.





وفي تلك اللحظة، أتَتْ فراسكيتا مسرعةً كما لو أنَّ شيئاً ما قد حَدث.

ـ «كارمن، حَسناً... إنّ دون خوسيه هنا!».

ـ «حقاً؟ لا بأس، أنا الآن مغرَمَةٌ بإسكاميلّو وعندما أرى خوسيه سَأُخبره بوضوحٍ بأنّ الرجل الذي أَحبُّ هو إسكاميلّو».

ـ «ولكن، توخَّي الحذر دائماً!».

ـ «حسناً، لا تقلقي».

حذّرَتها فراسكيتا ثانيةً ثمّ دخَلَتْ مَع الحشودِ إلى حلبةِ مصارعةِ الثيران. كان خوسيه يراقبُ كارمن منذ فترةٍ طويلة، وحينَ أصبحَتْ بمفردِها، اقترَبَ منها. ارتعَبَتْ كارمن لكنَّها تمالكَتْ نفسها، كما لو أنَّ شيئاً لم يكُن.

ـ «أوه، خوسيه، ماذا تفعلُ هنا؟».

ـ «مرَّتْ فترةٌ طويلةٌ ولم نرَ بعضَنا كارمن! لقد عُدتُ كما وعدتُكِ، دعينا نذهبُ الآنَ معاً من هنا. سنعيشُ بسعادةٍ معاً في مكانٍ آخر».

ـ «عمَّ تتكلَّم؟ إلى أينَ تعتقدُ أنّني سأذهبُ معَك؟ انتهت علاقتُنا».

توسَّلَ إليها خوسيه وهو متمسِّكٌ بها بعناد:

ـ «كارمن، أنا أحِبُّكِ جدّاً، ماذا تقولين؟ أرجوكِ لا ترفضي حبّي لك».

أجابته بهدوء:

ـ «دون خوسيه، إنّ الرجلَ الوحيدَ الذي أحِبُّ الآنَ، هو إسكاميلّو».

ـ «لا! لا تقولي هذا كارمن. إن استمرّيتِ بما تفعلينَهُ، لا أعرفُ ماذا سأفعل».

ـ «الآن، أنا لا أخافُ شيئاً. وبالمناسبةِ، خذْ هذا الخاتمَ الذي أهديتني إيّاه، إنّني أُعيدُهُ لك. لم يعُدْ له معنى بالنسبةِ إليّ».

وسحبَتْ كارمن الخاتمَ من إصبعها ورمتهُ أرضاً. كانَ هذا الخاتمُ عربونَ حُبِّ خوسيه لها.

وعلى الفورِ، تغيّرَت ملامحُ وجهِه وارتعش جسمُه بالكامل. تفاجأتْ كارمن لهذه النظرةِ للحظة، ولكن، سرعانَ ما أخذتْ تمشي نحو حلبةِ مصارعةِ الثيرانِ، حيث إسكاميلّو.



حدّقَ خوسيه فيها صامتاً وهي تغادر. وفجأةً، فَقدَ صوابَهُ فرَكضَ نحوَها وطَعنَها بسكّينٍ في ظهرِها.

وفي اللحظةِ التي وقعَت فيها على الأرضِ وصرخت ألماً، علَتْ أصواتُ التشجيعِ في حلبةِ مصارعةِ الثيرانِ مشيرَةً إلى نصرِ إسكاميلّو. وبعدَ ذلك، أغلقتْ عينيها السوداوين ببطءٍ. حينَئذٍ، أدركَ خوسيه أنّه قَتلَها، فأخذها بينَ ذراعيهِ باكياً.

ـ «أنا... أنا... حبيبتي كارمن، قَتلتُها بيديَّ هاتينِ الإثنتين. بهاتين اليدين... كارمن، آه، حبيبتي كارمن... رجاءً إفتحي عينيك...».

وعلا صوتُ نواحِهِ اللامتناهي بعيداً في السماءِ بطريقَةٍ متناقِضَةٍ معَ أصواتِ هُتافِ الجمعِ لإسكاميلّو.



نبذةٌ عن المؤلِّف:

جورج بيزيه

اشتهر بيزيه، إلى جانبِ فردي و واغنر، على أنّه أحدُ المؤلّفين الثلاثة الذينَ أنجزوا الأوبرات الرومانسيةَ الفرنسية. إنّه ابن معلّم موسيقى غنائية وعازف بيانو، لذلكَ تعرَّفَ إلى الموسيقى منذ سنٍّ مبكّرة. دخل في العاشرَة من عُمره، إلى المعهد الموسيقي كونسرفاتوار دو موزيك في باريس حيثُ تَعلَّمَ تَأليف الموسيقى مِنْ ملحّنين كانوا مشهورين في ذلك الوقتِ أمثال شارل غونو وفرومينتال هاليفي. وحينَ بَلَغَ التاسعَةَ عشرَةَ، تسنّت له فرصةُ الدراسَةِ في روما بعدَ أن ربحَت أنشودَتُهُ كلوفيس وكلوتيلد جائزَةَ روما للمنح الدراسيّة. وفي العام 1860، عادَ من روما حيث درَسَ وطوَّرَ مهنَتَهُ الموسيقيَّةَ، وبدأ يُركّزُ على تأليف الأوبرا. وفي عامه الخامسِ والعشرين، أنهى أوبرا غريبةَ من ثلاثةِ أجزاءٍ تدعى صيّادو اللؤلؤ. وما زاد من شهرة بيزيه أوبراهُ كارمن وموسيقى مسرحيّة دوديه العرضيّة فتاة آرل.

استوحى أوبرا "كارمن" مِنْ رواية "بروسبير ميريمي". ولم يلقَ أداؤها الأوّل على مسرح الأوبرا الهزليّة في باريس في مارس/آذار 1875 نجاحاً. ويعودُ سبَبُ ردَّة الفعلِ السلبيّةِ هذه إلى طريقته الحديثة والجريئة في عرضِ "الحياة الوضيعة" في هذا الشكلِ وموتِ البطلة في النهاية، بدلاً مِنْ ختمها بواحدة من تلك النهاياتِ السعيدةِ المألوفة. على أيِّ حال، عُرفت مع الوقتِ قيمَةُ هذا العمل، لتعبيره الصادق ومادّة بحثه المبتكرة. وهكذا، صمَدَتْ "كارمن" لتُصبحَ إحدى الأوبرات الأكثر عرضاً في أنحاءِ العالمِ، وأحبَّها نقّادُ الموسيقى والمُشاهدون كلّهم.



نبذة عن الرسام:

جونغ، هيون جو

تَخصّصَتْ هيون جو جونغ في الرسم الزيتي في جامعةِ "هونجيك" وأكمَلَت دراساتِها العليا. وشاركت، إلى جانبِ ثلاثة معارض خاصّة أقامتها، في أغلبِ الأحيانِ في معارضَ جماعيّةٍ ومن بينها معرَض "بينيال الدولي للطباعة". كما وأنّها فازت بجائزةٍ في "معرض كوريا للفَنِّ الرفيع".

وكان أوّلُ رسوماتِها للكتبِ المصوَّرَةِ لقصّةٍ تدعى "ظلُّ الزهرةِ وضوءُ الماءِ" بقلم "تشانج تشا بونغ" وانغمسَتْ أكثر في هذا العمَلِ عندما عَمِلَتْ على "أوسيم" للكاتبِ نفسه.

اعتنَتْ "بكارمن" عنايةً خاصَّةً لما تحتويه القصّة مِنْ عاطفة. فكّرَتْ كثيراً في تعبيرٍ يتناسقُ مع القصّة، وهكذا تُصوّرُ الحدَثَ الرئيسيَّ "لكارمن" حيث يشتبكُ نزاعُ الشخصيّات. ولكي تُوضحَ هذه العاطفةَ الحسّاسةَ والمعقّدةَ، بلّلتِ الورقة في الماءِ وتَركَتِ الألوانَ الأصليَّةَ تنتَشرُ على الورقة وأضافَتْ إليها ألواناً أخرى قبل أن تَجُفَّ.

حاولتْ أن تُظهرَ في "كارمن"، شعورَ الحبِّ القويِّ الذي يَضمّ الغيرةَ والامتلاك وحتّى الموت. لذلك، فإنّ ألوانَ الشخصيّاتِ قويةٌ وواضحةٌ جداً. وبدا ذلك واضحاً، خصوصاً من خلال خصائصِ "دون خوسيه" و"كارمن" المتضاربة. وبتعبيرٍ آخر، يتميَّز "دون خوسيه" بأنّه شخصٌ حذرٌ وحسّاسٌ جداً فيما تصوّر "كارمن" على أنّها شخصٌ يتمتّعُ بطاقة إنفعاليّة كالهيبةِ والثقة بالنَّفس. وإلى ذلك، أضافَتْ كلباً وقطّةً وطيوراً، ما يجعَلُ القارئَ ينْظرُ إلى الشخصيّاتِ وهي العناصرُ الفريدةُ التي تَدْعوه إلى عالمِ الخيالِ اللامتناهي.



سلسلة الأوپرا
والمسرح العالمي



المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

دار المؤلف
Dar Al-Moualef
للنشر والطباعة والتوزيع ش م م
for Publishing, Printing and Distribution s.a.r.l

كلمة
KALIMA

معالم
maalem
للطباعة والنشر والتوزيع ذ م م
for Printing, Publishing and Distribution L.L.C



كارمن
قميص أخير